

1. إنشاء المشروع وأهدافه

"مكتبات نفوسة/The Libraries of Nafusa" مشروع ريادي ينوي توثيق ورقمنة الثقافة المادية المكتوبة في منطقة جبل نفوسة بليبيا. يقوده مركز Ibadica للبحث والدراسات حول الإباضية في فرنسا ومؤسسة Fassato في ليبيا. يحظى بدعم مالي من قبل مؤسسة Gerda Henkel الألمانية وبرنامج تمويل "تراثات/Patrimonies". أما الفريق الإداري فهو يعكس طابع المشروع الدولي بما أنه متكون من أعضاء متنوعي الأصول، من المغرب والجزائر وفرنسا والولايات المتحدة.

[سفيان المستوي: تقديم Ibadica]

لا يزال المشروع في بادئ الأمر فلذلك يجب أن يُشارك القليل في حيثيات ولادته وكيف تتركب وتنظم المراحل الأولى وما هو المخطط للسنة الجارية.

لكي يُبنى مشروع مثل "مكتبات نفوسة" يعتمد Paul Love على خبرته الناتجة عن العمل الذي جرى القيام به في مكتبات عامة وخاصة متواجدة في جوار جزيرة جربة التونسية. بين 2018 و2021 تمت مبادرة للتوثيق والرقمنة تحت عنوان "مشروع مكتبات جربة/The Jerba Libraries Project". كان يدعمه برنامج المجموعات الأرشيفية المهددة بالخطر [<https://eap.bl.uk> The Endangered Archives Programme] بتمويل الصندوق الخيري Arcadia وإدارة المكتبة الوطنية البريطانية [The British Library].

<https://eap.bl.uk/project/EAP1216>

The Jerba Libraries Project: Preserving Endangered Manuscripts and Early Arabic Print Materials in Private Libraries in Jerba, Tunisia (EAP1216)

لتدبير هذا المشروع درب Paul Love وزميله علي بوجديدي مجموعة من شباب تونسيين ليتعلموا مبادئ علم المخطوطات واستعمال آلة التصوير ومعدات الإضاءة التي يحتاجون إليها لتنفيذ المشروع. خلال مدة سنتين ونصف نجح الفريق في توثيق ورقمنة مجموعات من مخطوطات ومطبوعات قديمة التاريخ محفوظة داخل أربع مكتبات عامة وخاصة.

حين الاقتراب من المراحل النهائية لمشروع مكتبات جربة أخذ الفريق في صياغة خطة مشروع مماثل لمنطقة جبل نفوسة القريبة فتربط جزيرة جربة وجبل نفوسة علاقات مستمرة منذ قرون وتبادلات بني آدم وكتب في ذلك الإطار الأمر الذي يعود أساسا إلى معتقدات دينية مشتركة بما أنهما موطن للمل مسلمة إباضية. كما هو الحال في جربة يتمتع جبل نفوسة بقرون من عادات متعلقة بثقافة المخطوطات غير أن الظروف السياسية الليبية أثناء القرن الأخير لم تشجع الإمعان في الثقافة المكتوبة بالمنطقة على قدر ما نعرف بالنسبة إلى جارتها تونس.

الفكرة المحورية لمشروع مكتبات جبل نفوسة هي توثيق هذا التراث المكتوب الثمين والحفاظ عليه بطريقة توظف وتمكّن الجهات الفاعلة المحلية وذلك عبر تعبئة شبكات دولية للمساندة في إقليم البحر المتوسط. يستهدف رائد المشروع تكوين فريق ليبين وتدريبهم لتحقيق عملية تمهيدية قصيرة الأجل في سنتي 2021-2022 متركزين على مجموعة خاصة أو مجموعتين. سيهتم الفريق بتوثيق المجموعات ورقمنتها وأيضا بأرشفة الوثائق داخل صنادق تخزين ملائمة.

2. المراحل المبدئية

الدفعة الأولى عبارة عن جمع الفريق.

في الميدان جند الأستاذ علي المزاوي من مؤسسة Fassato جماعة من لبيين لفريق التوثيق والرقمنة المحلي. أما Ibadica في فرنسا فهم وفروا مدربين من وادي مزاب في الجزائر حيث يُبذل مجهود متشابه منذ ثلاثين عاما لتوثيق المخطوطات والمطبوعات الإباضية. انعقدت دورة التدريب في جربة لأنها قريبة من جبل نفوسة وبالإضافة لها علاقات تاريخية وثقافية مع جبل نفوسة ووادي مزاب. طالبوا مساعدة لدى المخبر الوطني لصيانة وترميم الرقوق والمخطوطات القائم برقادة في تونس فبعثوا خبيرا في الحفاظ وهو درب الفريق لصنع صنادق أرشفية. مع ذلك الإطار الجوهري بدأ العمل في أوائل صيف 2021 وتم إطلاق المشروع في أواخر الصيف نفسه.

بما أن دورة تدريبية لمدة 10 أيام مثل هذه لا تكفي لتقديم كل الجوانب اللازمة لعلاج وتوثيق المخطوطات طُور تعليم عن بعد/online course لتدريس أعضاء الفريق المبادئ في علم المخطوطات. جرى ذلك على منصة Google Classroom وهدف إلى إفهام الأساسيات في تركيب المخطوط وتطورات إنتاج الورق والمناهج المستعملة لتحديد تاريخ نسخة ما. زد على ذلك التعريف على الطباعة الحجرية والطباعة العادية دون أن ننسى معلومات تقنية كالعلامات المائية. بفضل تنظيم بضع جلسات أون لاين كان من الممكن أن يلتقي ويتبادل الجميع بشكل اقتراضي قبل الاجتماع الحقيقي.

3. التدريب في جربة

لم تسمح عدة عوائق بالانطلاق في شهر أغسطس كما كان مخططاً أولاً وتأخر فجرى التدريب في جربة لمدة 10 أيام في أواخر ديسمبر وأوائل يناير. إغلاق حدود ولزوميات التلقيح كل هذا سبب تقلبات في فترة قصيرة وتغييرات في الأدوار والمسؤوليات. على سبيل المثال لم يستطع Paul Love الحضور بعد أن أغلقت الحدود المغربية لعدة شهور. في نهاية المطاف وُِد فريق مدربين موهوبين من الجزائر والولايات المتحدة وتونس لتوفير دورات تدريبية في توثيق المخطوطات والحفاظ عليها وصنع صنادق تخزين ومناهج للرقمنة. كانت الإقامة خلال الدورة داخل مجمع تربوي في جربة.

أتاح الموقع الرائع الفرصة لزيارات خارج المجمع إلى مقرات تُحفظ فيها مجموعات مخطوطات وتُدار فيها مشاريع ذات صلة فلفي الفريق بعض الأمان وممتلكي الوثائق في جربة. كانت أيضاً مناسبات من أجل المدربين لتطبيق المؤهلات الملقنة الجديدة فحفاً المخطوطات المتواجدة هناك. بفضل تلك اللقاءات أدرك المتعلمون أهمية بناء تفاعل مع ممتلكي المخطوطات وما يعني ذلك على الصعيد الشخصي.

وهكذا نصل إلى النقطة الأخيرة وليست الأقل وزناً على لائحة غايات المشروع وإن لم تكن ملهوسة كباقي النقاط المتعلقة بالتوثيق ونقصد هنا العلاقات البشرية التي لها دور حاسم في نجاح المهمة - يُعتبر أكبر من دور العناصر التقنية - وذلك يُستنتج من الخبرة الميدانية. كان غرض الدورة التدريبية خلق روح الفريق عبر تعارف البعض على الآخر والتعايش في فضاء مشترك وبناء الصداقة والشراكة في جو ثقة. كان من الواضح أن التفاعل وجهها لوجه يصعب على كل من المدربين ولإدارة والمعنيين بالتوثيق أثناء المشروع

فهم يعتمدون على الاتصال ب Google و WhatsApp. لذا شكّلت الإقامة في جربة مناسبة فريدة لإنشاء صلات شخصية ستمثل حجرا أساسيا لتعاونات في المستقبل.

رجع الفريق إلى ليبيا في أوائل شهر يناير بالمعدات اللازمة لبدء المشروع. منذ ذلك الوقت التقى الأعضاء كل يومي الجمعة والسبت للعمل بالمجموعة التجريبية التي تحتوي على مخطوطات وكتب مطبوعة بالحجر ووثائق متنوعة. تعرض هذه المجموعة نموذجا مثيرا لما نجد عادة ضمن المكتبات الخاصة وما نتمنى أن نكتشف في السنوات المقبلة. حاليا يشغل الفريق بفرز وتوثيق كل عناصر المجموعة ويعتزم تصوير الوثائق فيما يلي.

Paul Love، جامعة الأخوين في إفران